عادل إبراهيم علي حنزولي

جلد الكلب

أجمل الحكايات التراثية للناشئين

(3)

جلد الكلب

عادل إبراهيم علي حنزولي

الإهداء

إلى ذكرى والدي أمهر الحكّائين وقد أشبعني قصصا وأدبا ورتلت معه نغمات صباي وشبابي على مقام رفعة الأبطال الخرافيين وسموّهم

قبل أن يرحل بسموّ الأبطال ذات صيف تاركا لي بعض الذكريات وكنزا عظيما من الحكايات...

كلمة

ليس الانتصار النهائي للفضيلة هو الذي يؤمّن عبرة الحكاية، لكنّ الطفل وهو منجذب إلى البطل يتماهى معه في جميع محنه ونتيجة لذلك التماهي يتخيّل أنّه يقاسمه آلامه أثناء مصائبه وأنّه منتصر معه في الوقت الذي تنتصر فيه الفضيلة على الشرّ...

برونو بيتلايم

في يوم ربيعيّ جميل، شمسه دافئة، وألوان أزهاره زاهية، حيث تزيّنت الأرض بلون العشب الأخضر النّديّ حتى غدت كسجّاد بهيّ الصّنع. خرج إلى الغابة الخضراء المزهرة كثيفة الأشجار أرنب بريّ سمين للتّنزّه واللّعب. ما إن غادر جحره المخفيّ بين جذوع الأشجار حتّى هزّته البهجة وراح يقفز هنا وهناك وهو يضحك فرحا، ثم غزت النّشوة قلبه فأخذ يرقص ويمرح بينما كان يتقدّم بين ثنايا الغابة الواسعة إلى أن بلغ ساحة واسعة مخضرّة مزيّنة بصنوف العشب والحشائش. وانتصبت وسط تلك السّاحة الخالية من الأشجار شجرة سدر متوسّطة الطّول..

لم ينتبه أرنبنا اللطيف إلى شجرة السّدر، فقد أخذ منه التّعب مأخذا كبيرا إلى الدّرجة التي شعر معها بجوع شديد. تراءت له مساحات العشب الأخضر الطريّ النّديّ جنّة تليق بطيبته، فطفق يأكل بنهم ما لذّ له من أنواع انتقاها من العشب والحشائش الموزّعة على تلك المساحة الخضراء الشاسعة. وأخذ يتقدّم موزّعا نشاطه بين الأكل والمرح حتى غدا على مقربة من شجرة السّدر إلى الدّرجة التي وخزه معها شوكها القريب من الأرض.

"لماذا تخزينني بشوكك ولم أتعرّض لك بسوء؟" قال الأرنب مخاطبا شجرة السدر ورافعا رأسه تجاهها. بدا له أعلاه كلب أحمر اللون ضخم ومخيف. سريعا ما تمكّن الرعب من قلبه، وسرت قشعريرة داخل أوصاله، وانسحب إلى الوراء بهدوء محاولا أن لا يثير ضجّة من شأنها أن تجلب انتباه الكلب المخيف.. تراجع خطوات هادئة خائفة إلى الوراء بحذر، لكنّ الكلب لم يتحرّك.

"كيف لم يشتمّ رائحتي ولم يتقدّم نحوي؟" تساءل الأرنب حائرا، ذلك أنّ الكلاب تمتاز بحاسّة شمّ قويّة تُتيح لها التعرّف إلى فرائسها والتقدّم نحو مكانها الذي تختبئ فيه، ولذلك تساءل الأرنب تساؤلا منطقيّا جعل خوفه ينزاح تدريجيّا من قلبه. غير أنّه نظر بحذر إلى الكلب وتقدّم يريد لمسه. يا له من أرنب شجاع! لمّا لمسه، تبدّت له الحقيقة الغريبة. فالكلب المخيف لم يكن كلبا في الحقيقة، بل مجرّد جلد معلّق على شجرة السّدر الكبيرة!!

أخذ الأرنب يضحك ساخرا من نفسه ومن خوفه..

"يا لي من أرنب أحمق!" قال الأرنب وأخذ يرقص، قبل أن تخطر له فكرة مضحكة.

"إذا كنت أنا الآن مجرّد أرنب سمين، فماذا سيحدث لو وضعت عليّ هذا الجلد؟! ألن أصبح عندها كلبا مُهابا ومخيفا؟!" وأعجبته الفكرة فنفّذها بزهو وفرح، وتلألأت شمس الربيع الدّافئة على الجلد الأحمر فلمع وأضاء، واستشعر أرنبنا الظريف المَرَحَ والطاقة للّعب داخله فطفق يركض وينبح مثل الكلب، منتشيا وسعيدا بشكله الجديد..

في تلك الأثناء أيضا وصل إلى المكان الجميل ثعلب عجوز ماكر، كان يريد هو الآخر أن يستمتع بالربيع، فالتجوال تحت شمس ربيعيّة دافئة وسط مكان مخضرّ، يجعلنا سعداء ومسرورين إذ تنساب إلى عظامنا جرعات كبيرة من فيتامين دال الذي تهبنا إيّاه الشّمس... غير أنّ الثعلب العجوز لم يكن يدفعه إلى التّجوال رغبة في الاستمتاع وتحسين المزاج فقط. بل دفعه أيضا جوعه الشّديد، فخرج باحثا عن فريسة لذيذة تُسكن ألم جوعه، وتُسكت عصافير بطنه التي تسقسق منذ الصّباح.. التفت الثّعلب العجوز ناحية الأرنب فبدا له كلب أحمر مخيف ينبح...

استشعر الثعلب العجوز قشعريرة مفاجئة، وسكنه خوف شلّ عقله عن التفكير في تلك اللحظة...

"يا له من حظّ عاثر، أوقعني في هذا المأزق غير المتوقّع." قال الثعلب وتسمّر في مكانه.

أمّا أرنبنا السعيد بتحوّله إلى كلب، فقد وقعت عيناه بمحض الصدفة على الثعلب، واستشعر بحدسه خوفه. ذلك أنّ الحيوانات تستشعر بحدسها الخوف والشجاعة والطمأنينة. وسريعا خطر لأرنبنا خاطر..

"ماذا لو لاعبت هذا الثعلب، وأدخلت إلى قلبه الرعب مثلما صنع أجداده مع أجدادي؟!" قال الأرنب في نفسه، وأخذ ينبح في وجه الثعلب العجوز، ثمّ انطلق راكضا خلفه دون تفكير في العواقب الوخيمة لهذا الفعل العابث.. أمّا الثعلب العجوز فقد أصابه الهلع وأخذ يركض هاربا ظانّا أن الأرنب كلب مخيف يطارده..

"يا لها من ورطة!!" قال الثعلب وهو يركض والأرنب من خلفه لا يلين في المطاردة...

"الرحمة.. الرحمة.. أعف عنّي أيّها الكلب الطيّب فأنا لم أصنع تجاهك سوءا." قال الثعلب بينما كان يركض والخوف يهزّ قلبه...

"أبدا لا، لن أعفو عنك أيّها الثعلب الماكر، سوف تنال جزاء سنوات من المكر والجريمة.." قال الأرنب المتنكّر في هيئة كلب، وقد تمكّن به الزهو فنبح حينا وضحك في داخله حينا.

واستمرّت المطاردة وقتا طويلا، والأرنب لا يلين في لعبته ولا يهدأ. أمّا الثعلب فقد أخذ منه التعب مأخذا عظيما، وهاهو يلهث ويسعل من الركض بلا نهاية. ونتيجة لتعبه تقدّم دون أن يشعر أو يلاحظ نحو شجرة السدر وأخذ يطوف حولها، والأرنب من خلفه يطوف وراءه وقد أعجبته اللّعبة أيّما إعجاب. لكن وكما يقول المثل عند الأرانب، "لا تأمن انقلاب الحياة ولو كنت كلبا." فإن أرنبنا قد فقد جلده الكلبيّ وعاد مجرّد أرنب سمين شهيّ في نظر الثعالب، دون أن يلحظ.. ففي قمّة انتشائه بلعبته المخيفة، تعلّق جلد الكلب الموضوع عليه بشوك شجرة السّدر وبقي معلّقا هناك، وعادت الأحوال إلى دأبها الأول دون أن يلاحظ الأرنب المسكين ولا الثعلب العجوز، الذيْن استمرّا في لعبة الطّواف.

"يا لها من مهزلة، أرنب سمين يطارد ثعلبا جبانا!! انقلبت الحياة رأسا على عقب!!"

قال قنفذ رأى الأمر صدفة وقد أطلّ الآن من جحره، فرأى ما رأى وتكلّم بتعجّب.. ولسوء حظّ الأرنب فقد سمع الثعلب العجوز مقالة القنفذ، فالتفت ناحية خصمه يريد التأكّد، فلمّا بدا له ما عرف من السرّ تعجّب وتوقّف عن الرّكض، والتفت ناحية الأرنب ناظرا في عينيه بسخرية..

"هو هو، هيّا أهرب أيّها الثّعلب، إنّي كلب مخيف!!" قال الأرنب دون أن يلاحظ أو ينتبه لافتضاح أمره، فهو لم ير الجلد الذي عاد معلّقا على شجرة الشوك، ولم يسمع مقالة القنفذ.

"حقّا، يا لك من كلب مخيف.. مخيف وسمين شهيّ أيضا!!" قال الثّعلب ساخرا، متحسّسا صدر الأرنب بمخلبه الحادّ.

التفت الأرنب حوله يمينا ويسارا، وعرف أنّه صار مفضوحا وقد كُشفت حيلته، فانسحب سريعا هاربا، يلهث متعبا، والثعلب من خلفه يطارده إلى أن اختفيا عن أنظار القنفذ.

"الرحمة يا سيّدي الثعلب.. كنت أمزح وألهو فقط.." قال الأرنب وهو يركض.

"لحسن حظّي أنّ الثعلب انشغل عنّي بمطاردة الأرنب الذي قد تُدركه النجاة فيصل إلى جحره وقد لا تُدركه فيصل إلى معدة الثعلب، وعلى كلّ حال، على المرء أن يتحلّى بالحكمة ولا يلهو لهو المجانين مع الوحوش." قال القنفذ الحكيم قبل أن يلج جحره..